

■ مقالة / الجزء الرابع والأخير

# مواقف المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف في مواجهة احتلالين

⚠️ الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة ، بل تعبر عن رأي أصحابها



يتم تعيينها تحت الاحتلال وكانت نتيجة هذا الاعتراض هو ابطال موضوع الدستور المؤقت. بهذه الاجراءات استطاع السيستاني اشغال صناع السياسة الأمريكية غير المكتثرين في جدل ساخن حول معنى الديمقراطية التي يريدون تطبيقها في العراق وكما تبين فيما بعد كان نفوذه او ضربته هذه قد غيرت بالصميم جوهر المخططات الأمريكية في العراق آلت بالنتيجة الى تحويل القرار السيادي الى حكومة عراقية مؤقتة في حزيران ٢٠٠٣ م والتي كان السيستاني قد منحها ثقة مشروطة. . . وعلى الرغم من ان السيستاني لديه رؤية خاصة عما ينبغي ان تنطوي عليه الحكومة الإسلامية الا انه لم يكن ملهما او متأثرا بالخميني لقد مثل استاذة ابو القاسم الخوئي الذي توفي في عام ١٩٩٢م حيث تقبل حقيقة واقعية الدولة الحديثة التي يقودها السياسيون العاديون. . . كانت اراء السيستاني تقترب من اداءات ورؤى محمد حسين النائييني مؤلف كتاب (تنبيه الامة وتنزيه الملة) المطبوع لفي النجف عام ١٩٠٩م فرؤية السيستاني مثل رؤية النائييني تقوم على تأكيد مسؤولية الحكومة وموثوقيتها وحمايتها للإسلام. . . انه من الصعب التكهن بالضبط الى اين يريد السيستاني الذهاب بالتشيع لكنه يبدو مصمما على تحاشي المطبات والمازق. . .».

وقال ايضا: «الشخصية المحركة التي كانت تقف وراء الانتخابات ٣٠ يناير / ٢٠٠٥ م هو علي السيستاني الذي اظهر حنكة قيادية مشهود به في كبج كافة المحاولات داخل العراق وخارجه والتي كانت تدعو الى تأجيل الانتخابات، واطهر كذلك حكمة قيادية في تعبئة الشيعة وباقي العراقيين للمشاركة في العملية السياسية في الشهور التي قادت الى الانتخابات استطاع السيستاني ان يتربع على سدة الدور ويصدر الواجهة كمحرض ومتعهد بحفظ المصالح السياسية للشيعة وكانه الزعيم الوطني العراقي (الواحد) لقد عمل الرجل على تجسير الفجوات وردم الهوى بين المجاميع العراقية. . . فقد دعا في فتاواه واحكامه الى انتخابات حرة وشفافة معتبرا التصويت واجبا على جميع العراقيين كما شدد بان المرأة المتزوجة ليس واجبا عليها ان تصوت لنفس القائمة التي يفضلها زوجها وانما عليها ان تدلي براءها وفق ضميرها وقناعتها ومعتقداتها».

إنتهت

المصدر: مركز فجر عاشوراء الثقافي

عراقية منتخبة. فقد شكل السيستاني للأمريكيين مشكلة وحلا في نفس الوقت فهو خلافا لكل من احاط بهم من العراقيين كان وحده يمتلك الشرعية والقوة لأحداث تغيير بالوضع او طمأننة لا يحتاج الامر لأكثر من فتوى بسطور قليلة. . . كانوا بحاجة الى قوة من هذا النوع قادرة على ضبط الجمهور المؤدلج في معظمه ضد وجودهم والأهم من ذلك كانوا يخشون من استفزاز تلك القوة ودفعها الى معسكر الرافضين لمنطق العملية السياسية في ظل الاحتلال كانوا يعلمون جيدا ان انضمام التيار الحوزوي المحافظ الى الحركة الصدرية المتمسكة في وقت كان الشارع السني وقواه الاجتماعية مأسورين بفكرة المقاومة يعني فقدان السيطرة على العراق».

وكتب اسحاق نقاش الأستاذ في جامعة برانديز الاميركية: «ان السيستاني يمثل المدرسة الهدأ (quietist school) في الفكر الاسلامي داخل التشيع. . . لقد كشف السيستاني عن براجماتية وذرانية في التعامل مع الوجود الأمريكي في العراق حاثا الشيعة على عدم رفع السلاح ضد المحتلين فكان نهوضه (اي نهوض السيد السيستاني) او ارتفاع نجمه كصاحب النفوذ الاول وصاحب الصوت الاخلاقي الاعلى في العراق والاكثر وضوحا في الهدنة (truce) التي كان فيها وسيطا في شهر اب ٢٠٠٤م وذلك اثناء عودته الدراماتيكية للعراق بعد رحلته العلاجية الطويلة في لندن تلك الهدنة التي انتهت ثلاثة اسابيع من القتال حول ضربح الامام علي في النجف بين قوات المارينز الاميركية والمتمردين التابعين لمقتدى الصدر والتي تم خلالها تفادي هجوما وشيكا على الضريح وكذلك وفي عدة مناسبات بين عامي ٢٠٠٣-٢٠٠٤م اصطدم السيستاني او وقف ضد خطط بريمر الذي كان في قمة هرم الاداريين الامريكان العاملين في العراق وفي حزيران ٢٠٠٣م أصدر السيستاني حكما منع بموجبه تعيين عناصر او اشخاص لكتابة الدستور وجعل ذلك حصريا بانتخابهم من قبل ابناء الشعب العراقي. هذه الحركة وجهت ضربة الى الخطة الامريكية التي كادت تفضي بل تدعو للتعجيل بإصدار دستور جديد للعراق وفي تشرين الثاني من العام المذكور وعندما كشف بريمر النقاب عن خطة لانتخاب جمعية وطنية انتقالية من خلال مؤتمر عام يدعو له اصر السيستاني على انتخابات حرة مباشرة مجبرا الامريكان على الغاء هذه الخطة، كما عارض السيستاني موضوع الدستور المؤقت (قانون الادارة الانتقالية) الموقع من قبل مجلس الحكم العراقي في آذار ٢٠٠٤م مؤكدا بان الجمعية الانتقالية يجب ألا تقيد بأية وثيقة مكتوبة من قبل هيئة

■ خلاصة المشروع الأمريكي للعراق

لم يكن تشخيصنا للمشروع الأمريكي للعراق وركيزتهم فيه الاكراد / وهم حلفاؤهم في ذلك (مذكرات بريمر ص ٢٨٦) / والحركات العلمانية بأن يحافظ على علمانيته وغربيته في مناهجه التربوية على الرغم من اسلامية المعارضة الشيعية وقاعدتها وشعبيتها العريضة مجرد استنتاج بل هو صريح أدبياتهم.

وقالت مادلين اولبرايت: «خلافا لرجال الدين في ايران الذين يصرون على ممارسة السلطة السياسية ينتمي السيستاني الزاهد الى التراث الشيعي السائد الذي يبقى فيه رجال الدين بمنأى عن الحياة العامة الروتينية مع انهم يحتفظون بحق استعمال سلطتهم في الاوقات الحاسمة. فمند سقوط بغداد ادى السيستاني دوره بشكل خلاق. وبدلا من المواجهة العسكرية توصل السيستاني الى طريقة تجعل المحتلين يعملون لصالحه. ففي سنة ٢٠٠٣ م عندما كشفت الولايات المتحدة النقاب عن خطة متعددة المراحل للعراق تقضي باختيار جمعية وطنية ووضع مشروع دستور تصدى لها السيستاني لا لأنها ديمقراطية بل لأنها ليست ديمقراطية بقدر كاف فقد كان الأمريكيون يريدون عملية خاضعة للسيطرة تضع القواعد قبل اجراء الانتخابات ورأى السيستاني ان قيام ممثلين غير منتخبين بوضع مسودة الدستور امر غير مشروع واصر على ان تتم الانتخابات اولاً وبعد محاولة تجاهل مطلبه في البداية ثم بعد الفشل في التوصل الى تسوية لم يكن امام المسؤولين الأمريكيين بالنظر الى كل حديثهم عن الديمقراطية الا الرضوخ» . وقال غسان سلامة: «كان هاجس السيد علي السيستاني منذ اليوم الاول للاحتلال بان يكون هناك دستور. . . صدقني عندما كنا نتحدث مع بريمر حول دستور كان يضحك، عارف بلد لافيه امن ولا فيه كهرباء ولا فيه بنزين ولا فيه كذا ولا فيه حتى من يمثل العراقيين. عندما نتحدث مع العراقيين لم يكن احد يذكر الدستور. ذهبننا الى السيد علي السيستاني وكنت في تلك المرة مع سيرجيو فقال لنا بالعربية: انا اريد دستور هذا مطلبني الوحيد ولكن اريد دستور يكتبه عراقيون منتخبون من الشعب، هذا امر كان باطل بالنسبة للأمريكان كان هناك عدة دساتير مكتوبة كان هناك مكتب في واشنطن اخذا مالا طائلا من الأمريكيين وكتب دستوروا للعراق. . . جاء السيستاني قال لا. وحين اجابه (سيرجيو) من قبل عراقيين طبعاً هذا أفضل فترجم للسيستاني (من قبل عراقيين) فثارت ثائرتة قال: انا لم اقل (من قبل عراقيين) بل (من قبل عراقيين منتخبين)».

وقال الاخضر الابراهيم: في تصريحه في ختام لقائه بالسيد السيستاني يوم السبت ١٢/٢١/٢٠٠٣هـ الموافق ٢٠٠٣/٢/١٣ م «ان السيستاني محق في اجراء الانتخابات ونحن نوافقه الراي لان الانتخابات هي الوسيلة الانسب لحل مشكلة الشعب العراقي. . . وقال جنت من اجل الاطلاع على راي السيستاني حول مسألة الانتخابات. . . وقال ان السيد السيستاني ما زال مصرا على موقفه ونحن معه في هذا الراي مائة في المائة لان الانتخابات هي الطريقة الوحيدة لإخراج العراق من محتته ومن النفق المظلم».

وكتب ربيع نادر: في مراجعة رحلة السنوات التسع يقول النائب حبيب الطرقي: ان المرجعية في النجف الاشرف كان لها دور واضح واساسي في تشكيل العملية السياسية واجراء استفتاء شعبي على الدستور. مرجعية النجف هي صمام الامان للعملية السياسية باعترااف الجميع فالطيف السياسي العراقي الذي يتكون بشكل رئيس من شيعي وسني وكردى ومكونات اخرى لم يجمع على شيء كإجماعه على ان المرجعية في النجف دورا في تقريب وجهات النظر ومنع الانهيارات.

كتب حارث الحسن: «الى حد كبير كان المرجع السيستاني قد لعب الدور الابرز في صياغة عراق ما بعد صدام رغم انه كان الاقل كلاما بين الابعين العراقيين وغير العراقيين. . . سألته (الاسوشيتد برس) بعد ايام قليلة من دخول القوات الامريكية الى بغداد عن رؤيته لمستقبل العراق كانت اجابته التي لم تتغير ابدا هي: انتخابات جمعية تأسيسية تضع دستوراً يكتبه العراقيون ونقل السلطة الى حكومة

وهو ايضا صريح كلام بريمر فقد قال: «وكان الاكراد يخشون دانما من تأثير المرجعية في العراق الجديد» (٣٧٠) (وبقيت المصادقة على الدستور القضية الاصعب، كرر الاكراد قلقهم بشأن الدستور الدائم الذي قد تكتبه العمام السوداء» (ص ٣٧٤). وهو ايضا صريح كلام الاخضر الابراهيمي: «يجب الا يدير اصحاب العمام السوداء الحكومة العراقية المؤقتة» (٣٥٦).

وكان يؤكد بريمر ايضا بصراحة: «ان وزارة التربية والداخلية يجب ان تبقى خطوطا حمراء على الإسلاميين» (ص ١٩٤). وقد حرص بريمر ايضا ان تضاف مادة تخص مبادئ الديمقراطية المنصوص عليها في الدستور بان لا تسن قوانين تخالفها فطلب من بعض اعضاء مجلس الحكم ان يطرحها للتصويت وطلب من مجلس الحكم الموافقة عليها» (ص ٣٧٩).

وحين تمت الموافقة عليها قال بريمر: «لقد اثمر رهاننا الخطر في كسب جولة مهمة لصالح عراق علماني» (ص ٣٨٧).

■ مشروع السيد السيستاني في نظر السياسيين والكتاب السياسيين المعاصرين

قوبل مشروع السيد السيستاني للعراق من قبل رجال السياسة العالمية فضلا عن اغلب رجال السياسة العراقية على تنوعهم الايديولوجي والمذهبي ليس فقط بموافقة بالراي مائة بالمائة بل بالدهشة والاعجاب وقد اضطرت معه امريكا الى الاستجابة على الرغم من محاولات الالتفاف عليه في اكثر من مرة، كما دعت إيران اتباعها من خلال توجهات الولي الفقيه وتوجهاته الى الانضواء تحت راية السيد السيستاني مع احتفاظهم بمشروعهم وحركتهم فيه سرا.

قال مار شليمون وردوني في ٢٤/١٠/٢٠٠٨م: «لقد أصغى سماحة السيد السيستاني لنا بكل رحابة صدر لأنه رجل محبوب وهادئ يخشى الله.

وقال النوفلي: ان السيستاني خيمة لجميع العراقيين وهو الاخ الاكبر طرحنا عليه همومنا نشكر تقديره الملاحظات ونطلب من السياسيين ان يأخذوا بملاحظات حتى يبعدوا الاذى عن العراق والعراقيين».

وقال عبد الرحمن الراشد اعلامي سعودي: «آية الله السيستاني ليس فقط اهم مراجع الشيعة بل في مقدمة دعاة الاعتدال والتعايش وكان صمام الامان في العراق طوال السنوات الست الخطرة الماضية وحال بحكمته دون انزلاق العراقيين في وحول الفتنة الطائفية والحرب الاهلية. وكتب نفوم شومسكي: كان نجاح انتخابات كانون الثاني الماضي تنويعا مشرفا لسياسة الانعنف والتي اصبح اية الله السيد علي السيستاني رمزا لها وقلة من المراقبين الكفاءة قد يخالفون محرري الفايينشال تايمز الراي والذين كتبوا في اذار الفائت ان السبب في قيام الانتخابات كان اصرار اية الله العظمى السيد علي السيستاني على الوقوف في وجه ثلاث محاولات قام بها الاحتلال الأمريكي لتأجيل هذه الانتخابات او الغائها».

وكتب توماس فريدمان: «مع اقترابنا من موسم منح جائزة نوبل للسلام اريد ان ارشح زعيم الشيعة الروحي في العراق اية الله العظمى علي السيستاني الذي اصر على اجراء انتخابات مباشرة على مستوى العراق ككل ورفض الاقتراح الامريكي الاحمق بإجراء مؤتمرات شعبية محلية. . . وهو الذي امر الشيعة بعدم الانتقام لمساعي البعثيين والاصوليين المتطرفين (الذين كان يهجمون على المساجد الشيعية ويرتكبون القتل الجماعي ضد الشيعة) بدفع البلد الى حرب اهلية وبقيامه بذلك ساعد على منح الشرعية لسلطة الشعب في منطقة لم تسمح يوما بشيء كهذا اما الشيء الثالث الذي قام به السيستاني والاكثر أهمية فهو قوله: يجب ان يؤثر الاسلام على السياسة والدستور وعلى رجال الدين الا يحكموا. . . كيف يمكن لرجل بهذا الحس وهذه الحكمة ان يظهر من وسط حطام العراق الذي سببه